

الرؤية والرؤيا في الشعر المنبري

الشعر ناجم من إشعاعات عديدة ، ونوع هذه الإشعاعات يمثل نوع الشعر ، وحين نعرض لمصطلحين هامين في الشعر وهما الرؤية والرؤيا فإننا نرجع الشعر لمبدأين غاية في الأهمية لبيان ماهية هذا الشعر ودرجة شاعريته، وحسب ما ذهب العديد من النقاد منذ عصور سابقة وامتد لهذا العصر، فأجدني ميالا لما ذهب إليه الدكتور علي جعفر العلق في " في حادثة النص الشعري" حيث يرى بأن الرؤية في الشعر - في معظم الأحيان - فعلاً جسدياً محضاً لا يلامس غير السطح من المرئيات، ولا يصل إلى مكوناتها الداخلي، وما في صمتها البارد من دلالة وتوحش، بينما يرى بأن الرؤيا تفضي إلى "ما تخبئه المرئيات وراءها من معان وأشكال فيقتنصها ويكشف نقاب الحس عنها، وبذلك يفتح عيوننا على ما في الأشياء المرئية من روعة وفتنة"

إذن هذا يتقاطع مع النظريات التي ترجع الرؤية إلى ما يسمى المعنى القشري والظاهري في قلبها المرئي أو ما يسمى structure service وهي تبدأ من السطح وتنتهي به ، بينما الرؤيا تمثل في وهجها المعنى العميق وما وراء الحدث والتاريخ والفعل أو ما يسمى بـ structure deep .

إذن أحسب بأن هذين المصطلحين بحسب رؤيتنا للشعر المنبري الأحسائي القائم في شكله على مستهل وكراسي وصدور أو مطلع بحسب بنائه وتركيبته يحتل مكانة تجمع النظم والشعر مع غلبة للأول سابقا، ووعي بالثاني مؤخرا جراء عدة عوامل ، لعل من ضمنها الرواديد الذين يطلبون منها إبداعا ضاربا في القصيدة المنبرية، وهذا مؤشر إيجابي بأن الوعي أصبح مشتركا بين الشاعر والرادود، وأعتقد بأن المحصلة هي الانتقال من مرحلة النظم لمرحلة الشعر الحقيقي.

ومع شح في تناول الشعر المنبري دراسة ونقدا أقوم بهذه المقاربة لتسليط الضوء على استراتيجيات تخرج الشعر المنبري من الرؤية وتضعه في الرؤيا من خلال استعراض أمثلة من مجموعة ملتقى شعراء الأحساء الواتسابي الذي أسسه الشاعر سالم العريفي ونهض به ويقوم ويشرف عليه الشاعر المهندس ناصر الوسمي.

فحين يقول الشاعر أسامة العامر في نصه الخسوف الكلي :

ابهذا الخسوف الكلي

واجب عليه انصلي

و النية المعقودة

لراس الغمر و زنوده

واجب عليه انصلي

واجب عليه ابهالمسه

انصلي صلاة الآيات

نتوجه لوجه الغمر .

من نعقد إليها النيات

بسابع محرم باللطم .

انكبر سبع تكبيرات

و السورة بكتاب الجفن .

فوق الخدود الدمعات

و مثل الحُسين امن انحنه

لازم تكون الركعات

انخلي الجفوف اعلاه الظهر .

و نطل نسبح آهات

صلى الحسين ابكتره .

و بجفوه لازم طهره

بازل أشد مجهوده .

لراس الغمر و زنوده

فإننا نتيقن بأن هذا الشاعر بدأ متجاوزاً للرؤية منذ البداية، ولا ينتمي السطح الظاهري لسلكه الشعري، فهو يتخذ من الحدث والواقعة جسراً للعبور بشعره لمستويات أرحب في الفكر والتأويل والإسقاط الكوني والفقهي بطريقة مرنة لا تخل بالسياق المتين.

وحول الرؤية التي هي شهادة العباس (ع) وانحناء ظهر الإمام الحسين (ع) وعلاقته بالقمر الذي يرمز للعباس (ع) وكونه وفاته أشبه بالخسوف الكلي الذي يلزم بحسب الحكم الفقهي صلاة الآيات، ولو تأملت في بقية المقاطع ستجدها ذات رؤيا معبرة.

وهنا أنتقل لاستراتيجية أخرى لدى الشاعر حسن المعيبدي في مستهله:

لمن نزل شبه النبي الغالبي

الحومة ثلاث مرات صلت عالنيبي

نازل .. شاييل .. رايته وتفرد

شسوه .. توه .. منبعث محمد

حيث هنا جعل من المكان راويا وهو حومة الميدان، ومن خوف المكان على المكين وهو الأكبر، ولشدة شبهه وجماله بالرسول وخوفاً عليه من الحسد تصلي على النبي صلى الله عليه وآله، فأى إبداع هذا؟

ولننظر لما قاله الشاعر قصي المؤمن نظرة فاحصة:

وقع لكن موهزيمه الطيحه

كل بسطل لازم اله تربيحه

من اجته من السماء الصيحه

سلم الرايه وبدا بتسيحه

عابد وصافي الاحساس

واحتارت بوصفه الناس

ابو فاضل

هنا لم يكتف الشاعر بذكر حدث وقوع العباس عليه السلام ، بل أوله وفسره ووضع تفسيراً لطيفاً متماشياً مع نظراته ورؤياه الإبداعية، وجعل من الوقوع استراحة للمناجاة وطالما يحتاجها البطل الرسالي ليناجي ربه ..!

ومع منظور متفرد آخر حيث يقول الشاعر علي الحمود:

گرت اعيونج رقيه

بنومه گلش غافيه

شفتي خويه حسين بيها

يا منام العافيه

نامي بحلامچ سعيده امهنه يا حلم الأجل

وعالطشت خلي وجنتج بالطشت باقي أمل

منعسه اجفونج رقيه ياورد شاحب ذبل

هذا نحر حسين حطنج عسا احلامچ غسل

...

ظمي هالشيبه الخضيه

حمره چانت صافيه

مسحي دمعاتج عليها

يا منام العافيه

....

كيف للشاعر بأن يلون مشهدا تراجيديا بألوان رومانسية وعاطفية حالمه، ويجعل من النومه التي تعادل الموتة مما تغبط عليه السيدة رقيه عليها السلام!..

هذا ما فعله الشاعر الحمود..

وبالنظر لقميدة الشاعر حسين المعيوف وقوله:

بجيتي احسين

لمن راح و رجعت جمرة آلامه

و من الجزع صرتي تلطمي الهامه

بجيتي احسين

شنهى هالحراره البيج لأيتامه ؟!

و أظن من دمعج ا[] خلك لطامه !

عندي مُعتقد بالخالق الباري

لطامه خِلك من دمعِ الجاري

و الشأن من ا ارتفع أم الشعائر و الجزع

يا أم البنين

فإننا نقف لاستخدام شخصية أم البنين المحورية في القصيدة وجعل ما قامت به محلا للنفحات واللفظ الإلهي الذي يعتقده الشاعر بفكرته الإبداعية التي اتخذها الباري لخلق (اللطامة) المرتبطة بدمعها في الإمام الحسين (ع) وسبيله، وجعل دموعها سبيلا لذلك وهذه شعيرة يحتفى بها ، وهذا ما اعتبره الشاعر رفعة في مقام أم البنين سلام ا عليها .

....

وأختم هذه الأمثلة بهذا المثال المعبر للشاعر إبراهيم العطية:

سبحه الزهره اقطعوها

و بالحوافر كسّروها

إنهشم صدر الزجيه

و العرش ينصب عزيه

.....

هالساعه حضرت فاطمه

و محمّله ابحسرتها

محنیه جات اعلى الولد

و تضاعفت عصرتها

بالف وتسع مية جرح

ما تنوصف كسرتها

من شافت ابكبر الأرض

متناثره سبحتها

من لگت سيحة گلبها

مرتوي إبدمه تربها

و تشتكي □ و نبيّه

و العرش ينصب عزيه

...

انطلق الشاعر من رمزية تسبيحة الزهراء (ع) ودلالاتها القدسية وما تناثرها سوى كونه جراح الإمام الحسين (ع) ، وما جسده إلا هذه السبحة التي تكسرت وتهشمت، فما أروع هذا الترميز والإسقاط المفجع ..!

والأمثلة كثيرة من مبدعي هذه المجموعة ولا يسع المجال لحصرها، لكننا نعطي فكرة عامة عنها .

و حين نعرض لأمثلة تخرج الرؤية لتمل للرؤيا فإننا نقول بأن هذه الاستراتيجيات يجب أن تراعي ضوابط وأترك للقارئ الكريم ذكر الأمثلة ليطبقها :

١- عدم المساس بالمسلمات والثوابت والأحداث التاريخية ..

فلا يأتي بحدث على أنه حدث بكيفية ما بينما التاريخ ذكره بكيفية مغايرة ، فهنا المغالطة مختلفة عن التأويل أو إعادة القراءة.

٢- عند الاستشهاد بآيات قرآنية يلتزم بقراءتها فصحا ومراعاة قواعد الفصح في ذلك وعدم الوقوع في كسر عروضي لسلامة قراءة الآية، ولا يلوي بعنق الآية لئلا يكسر البيت.. !

٣- أن تتوافر عناصر مثل الجودة والأصالة والإبداع وإضافة المعنى والجمالية في استخدام التقنيات هذه للحصول على رؤيا مبتكرة .

فعلى سبيل المثال لا يزيد ألفاظا لا يترتب عليها زيادة معان.

٤- أن لا تجعل هذه الاستراتيجيات النص المنبري نصا مقفلا للنخبة ولنخبة النخبة .

والكثير الكثير ممكن إضافته ، على أن هذه الورقة لم تحصر جميع الاستراتيجيات والأمثلة والضوابط والمفاهيم ، لكنني آمل أن أكون قد سلطت الضوء على بعض من هذه المحاور المهمة مما يفتح آفاقًا بالتأمل وإعادة النظر في تحول نظمنا لشعر حقيقي..